كلمة الأستاذ الدكتور مايكل كارتر خلال تسلمه جائزة الملك فيصل

خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود
أصحاب السمو أفراد العائلة الملكية
سعادة أعضاء لجان جائزة الملك فيصل
زملائي الكرام ...

يشرفني عظيم الشرف منحي جائزة الملك فيصل للغة العربية والأدب في موضوع الدراسات اللسانية عن اللغة العربية بلغات أخرى. ولعل مجال أبحاثي يتسم بطبيعته المجردة، بل ربما يذهب البعض إلى اعتباره مجردا للغاية؛ لذا فإنه من دواعي سروري العميق أن يحظى عملي بهذا التتويج بوصفه مساهمةً عمليةً في تحقيق الأهداف بعيدة المدى التي تروم جائزة الملك فيصل تحقيقها والمتمثلة في تعزيز مكانة اللغة العربية عالميا، كما تم تأكيد ذلك في عام 1973 عندما أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية السادسة في الأمم المتحدة.

إن اللغة العربية، شأنها في ذلك شأن معظم اللغات الأخرى، أداة دنيوية ودينية في آن واحد، فهي وسيلة للتواصل اليومي، لكنها أيضا أداة للتعبير الروحاني بامتياز. وقد أدركتُ في خضم إنجاز دراساتي أن اللغة العربية تتجاوز بقدر كبير أية لغة أخرى في توحيد الخطاب الديني والدنيوي. فالمؤمنون يتحدثون نفس اللغة التي نزل بها الوحي الإلهي. ولا أعرف أي لغة معاصرة أخرى تمتاز بهذه الخاصية.

لم يشكّك النحاة العرب، وليسوا جميعهم عربا، من جانبهم أبداً في أن موضوع اهتمامهم يربط بين الخالق والعالم المخلوق بطريقة مباشرة وعميقة، وأدركوا مبكرا أن اجتهاداتهم اللغوية كانت تحمل حتما تداعيات على علوم اللاهوت والشريعة. وعلم النحو قديمٌ قِدم الإسلام نفسه، حيث تم وضع أصوله وقواعده في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي من قبل سيبويه، وهو من أصل غير عربي. فأطروحته النحوية التي تحمل عنوان "الكتاب" تتسم بأصالةٍ ونطاقٍ لم يسبق لهما مثيل، حيث يتضمن كتابه وصفا شاملا للغة العربية بدقة منهجية قلَّ نظيرها في تاريخ اللغويات. ولا تزال قيمة كتاب سيبويه ملموسة وغير منقوصة، إذ سُمي "الكتاب" عن جدارة "قرآن النحو".

وقد بدأتُ دراسة سيبويه قبل أكثر من نصف قرن، بمعنى أنني قرأت عنه لفترة أطول مما عاش بالفعل، ولم أكِلَّ من ذلك أبدا. وآمل ألا أكون الوحيد الذي يُقِرّ بأن أسلوب تفكير سيبويه غالبًا ما يدفعني إلى أقصى حدود قدراتي الفكرية، والأمر سيان بالنسبة للأطروحات المعقدة التي قدمها النحاة من خلفه.

إن جائزة الملك فيصل في دورتها هذه السنة تجمع قراءاتٍ متوازيةً، عربية وغير عربية، لنفس النصوص في إطار مسعى مشترك للفهم، إحداهما من الداخل والأخرى من الخارج. وهذه النصوص النحوية هي فضاءُ التقائنا، وهي ما نتحدث عنه مع مجتمعاتنا المختلفة. ولا شك في أن هذه الجائزة السخية ستشجع بالتأكيد التعاون بيننا جميعا.